الفصل الأول

قولٌ في المنامات

هي تغير المزاج أثناء النوم كأن تغلب عليه الحرارة، فيرى النار أو الشرار أو السواد أو الظلمة. وكما قال الأطباء فهذه منامات مختلطة لا تعبر عن شيء، وقد لا يستولي على مزاجه شيء من ذلك, ولا خوف, ولا يتمكن في ضميره رجاء مطلوب، وهذا إنما ينتظم باعتدال الغذاء والحركة والسكون والنوم واعتدال المزاج فترى أشياءَ في النوم؛ فيكون ذلك من القوة المتخيلة وهي قوة لها عناية بمصالح العبد فيرى الأشياء المبشرة والمنذرة إعلامًا بما سيكون من أحواله من خير أو شر، مصرحًا أو خفيًا كما تقرر، ولا يريه ذلك كل وقت بل في الوقت الذي يجب، وبالقدر الذي يجب، وعلى الوجه الذي يجب، وفي الحال الذي يحتاج.

وذلك إما خاصٌّ بالرائي أو عام به وبغيره أو على أمر يحدث في العالم كما رآه هرقل ملك الروم، فأخبره المعبرون بما تفرسوا في رؤياه، فنام ثانيا، فرأى قائلا يقول له: ليس تأويل رؤياك كما زعموا ! بل كذا وكذا ! ومما حكي أن المستعصم نام في خيمة فرأى قائلا يقول: قم وعجل ! فإن الأفعى قصدتك لتقتلك ! فانتبه فرأى أفعى بينه وبينها نحو ذراعين، ورأى أيضًا قائلاً يقول: إلى متى لا تطلق منصور الجمَّال، تحبسه ظلمًا؟!

فانتبه وتفكر ولم يعرفه، فسأل عنه، فأحضر إليه وبحث في أمره فوجده مظلومًا، فأطلقه، ولما قرب موت فخر الدولة ظلم واعتدى، فرأى رجلاً في النوم يقول: أين ركن الدولة ! فأتاه، وقال له: لما لا تقول لهذا الشقي لِمَ يؤذي الناس،

ولَمْ يخف الله، وقد بقي من عمره خمسة أيام ! فأخبر فخر الدولة بذلك، وتأسف وأطلق المحبوسين، فلم يتم أسبوع حتى مات.

وكان بطبرستان امرأة صالحة ولها ابنٌ، فادخرت له مبلغًا ليدفع به عنه يوم شدةٍ, فماتت وابنها لا يعلم بذلك, فصودر في يومٍ من الأيام وحبس, فرأى أمه في النوم تقول: استخرج من موضع كذا ما خبأته لك أمك لهذا اليوم ! فانتبه وتوجه للمحل الذي عينته، وحضر وأخذ ما فيه من الدراهم وتخلص.

وإنما يكون أكثر هذه الرؤيا في أوقات الشدائد والتحير وعند الوقوع في ذنب عظيم وثقل في الأحوال لا يحتمل.

وذكر جالينوس أنه عرض له مرض بين الحجاب والكبد، وعالجه بما أمكن وبالغ، فلم يبرأ وانقطع رجاؤه فرأى في منامه رجلاً يأمره بفَصْد العِرْق الذي بين الخِنْصَر والبِنْصَر في اليد اليسرى، ففعل، ولم يكن يعلم أن ذلك العرق يُفْصَد؛ فبرئ.

وحكى ابن سينا أن رجلاً ورم لسانه وعظم، فعالجه هو وغيره من الأطباء فلم يبرأ، فأعرضوا عن مداواته، وسلم أمره للهلاك، فرأى إنسانًا يقول له في نومه: اعصر الحشيش الفلاني، وتمضمض به تبرأ؛ ففعل فبرئ .

وحكى أرواسيوس أن رجلاً عرض له في مثانته جرح عظيم، فداواه بكل دواء فلم ينفعه، فأشرف على الهلاك، فرأى في منامه إنسانًا بيده طيرٌ يسمى كذا ويوجد بالموضع الفلاني، فقال له: خذه وأحرقه وتناول من رماده مقدار كذا وكذا؛ ففعل ذلك فبرئ.

والمنام غير مقصور على القوة المتخلية بل إن جميع القوى العقلية الحافظة والمفكرة تعمل في المنام كمن رأى في المنام أن أسدًا يقصده، فينتبه الإنسان بفضل القوة المفكرة، وإذا رأى أنه يقع من سطح، فيتنبه مذعورًا، وكذا القوة الحافظة فهي تحفظ الأشياء في النوم، فإذا انتبه يعي ذلك في ذهنه.

وإجمالاً فإن هذه القوى الثلاث: المتخيِّلة والمفكِّرة والحافِظة عاقلات نومًا ويقظةً على وتيرةٍ واحدةٍ لعدم احتياجها إلى النوم لأنها لا تتعب، فلا تحتاج إلى استراحةٍ.

والمنام قد يكون محمودًا ظاهرًا وباطنًا، وقد يكون مذمومًا فيهما، وقد يكون مذمومًا في الظاهر محمودًا في الباطن، وبالعكس.

ولا يغرنَّك ظاهره قبل الوقوف على المودع في باطنه، وكل شيء يرى في النوم إن كان على المجرى الطبيعي؛ فهو خير مما ليس كذلك، وما وافق العادة والسيرة للرائي ولبلده ولقومه، فهو خير مما هو مخالف، وما طابق الشريعة والسنة والاعتقاد لكل قوم، فهو خير مما هو خارج عنها، ورغم ذلك فإن هذا الاستدلال ضعيف جدًّا؛ فإن كانت الرؤيا غريبة نادرة لم يقع مثلها فلا يتجاسر المرء ولا يبادر إلى تعبيرها، بل يتوقف فيها حتى تظهر عاقبتها، وقد ذهب اليونانيون بأن الرؤيا لا يحفظها الرائي من أولها إلى آخرها؛ ولذلك ينبغي التروي في تأويلها.

والناس في الرؤيا أقسام، فمنهم من لا يرى رؤيا أصلاً، وسبب ذلك بلادة نفسه، ومنهم من يرى وينبئ، ومنهم من يرى ولا يفهم، ومنهم من يرى ويفهم .

قولٌ في النوم

١- **النوم وحقيقته:** إن الجسم وآلاته يلحقه نَصَبٌ من تعاطي الأعمال في جميع الأحوال، فيحتاج إلى استراحة وهي تسمى النوم، وهو سكون طبيعي؛ لأن القوى البدنية تحتاج إلى زوال الكلال عنها وانتعاش القوة المحركة به، فالنوم عبارة عن الامتناع عن العمل حيث إن القوة المحركة قد تعبت, والراحة من ذلك هو ترك العمل.

٢- **كيف تنام مستريحًا:** للنوم آداب منها أنه يندب للنائم أمور منها أن يستقبل القبلة حال نومه، ويقرأ ما تيسر من القرآن، والأولى الفاتحة والإخلاص لما رواه البزار وغير مرفوعًا: "**إذا وضعت جنبك على الفراش، وقرأت فاتحة الكتاب، وقل هو الله أحد، أمنت من كل شيء إلا الموتَ**" .

ومن هذه الآداب أن يتعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه, ومن شر عباده, ومن همزات الشياطين، ويندب شرعًا النوم على الجنب الأيمن، وأما من نام على الشمال فإن رؤياه غير صحيحة.